النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

رسالة القاهرة ـ من : سامي خشبة ـ

عام من النشاط الثقافي

***

في التاريخ الامريكي فترة تعرف باسم « سنوات امريكا الزرقاء » ويطلق هذا الوصف الشاعري على فترة الكساد العظيم الذي شمل امريكا والعالم الرأسمالي في أواخر الثلاثينات . ولا شك ان قوى التخلف الاجتماعي والفكري في بلادنا هي الاخرى تعيسة « سنواتها الزرقاء » في هذه الفترة من تاريخنا . يعيشون فترة كسادهم التي تسبق البوار والموت الاخير ، فتراهم يأتون اعمالا متشنجة لا تبصر فيها من مثل ما فعله عزيز أباظة في عيد العلم في اواخر العام حينما راح يصب لعنابه على كل دلائل التقدم والتحرر الفكري ، تحت ستار الهجوم على العامية في الادب ، موزعا اتهاماته بالكفر وبالمروق من غير روية ولا حكمة ، هي المنتظرة دائما من « الشيوخ ! » . لم يبدأ هذا الكساد عفوا او نزولا على حكم التاريخ وحده ، ولكن بشائر الانتصار الاولى في المعركة القاسية المحترمة بين قوى التخلف المحتضرة وبين قوى التقدم التي تبرعمت وتزدهر الان على ارض الجمهورية العربية . ولو ألقينا نظرة تغطية شاملة على واقع الحياة الثقافية في مصر من خلال العام المنصرم ، وركزنا ابصارنا على بداية هذا العام وعلى منتهاه ، لاكتشفنا المسار الحتمي الذي تتخذه حركة الواقع الثقافي في بلادنا.

بدأ عام ١٩٦٥ وقد تمكنت قوى التخلف الفكرية من السيطرة على مجلات وزارة الثقافة ، وراحت تشن حملة ضارية وجهت معظم نيرانها ضد الدكتور لويس عوض لكي تهاجم من خلاله كل القيم الانسانية المتقدمة من حياتنا الثقافية ، بدءا من قيمة الالتزام الثوري للادب والفن ، ومرورا بقيم التجديد والتعبير الفني الانساني ووصولا الى توجيه شتى الاتهامات بالكفر او بالشيوعية والى الدفاع عن كل ما هو موروث انطلاقا من فكرة قدسية التراث أيا كان نوع هذا التراث او اتجاهه . ووصل العام الى نهايته مع بداية نشاط ثقافي جماهيري لم تشهده بلادنا في تاريخها الحديث من قبل ، عندما طرحت مجلة « الاشتراكي » التي تصدرها امانة الدعوة والفكر للاتحاد الاشتراكي العربي مشروع ميثاق ثقافي لمناقشته بهدف الى تحقيق وحدة فكرية بين المثقفين الثوريين في مصر ، وحدة فكرية ، الهدف الاساسي منها خلق امكانية وحدة العمل بين هؤلاء المثقفين ، حتى تتاح لهم فرصة المساهمة الفعالة في معركة البناء الانساني لمجتمعنا الجديد . الندوات الفنية والفكرية تعقد في كل يوم في القاهرة في مقر الاتحاد الاشتراكي وباشراف امانة الدعوة والفكر فيه ، وفي بعض دور الصحف القاهرية وعلى صفحاتها دارت المناقشات ليعبر أطرافها عن شتى وجهات النظر ازاء نقاط المشروع المحورية . وتتبلور المناقشات حول نقاط ثلاث رئيسية : دور الثقافة والمثقفين في المجتمع ، والتزام الفنان وحريته ، وامكانية الوصول بآثار العمل الثقافي في شتى مجالاته الى الريف حيث توجد القاعدة العريضة الغالبة من جماهير شعبنا .

كانت بداية العام كئيبة وموحشة وكانت نهايته ارهاصا بانطلاق جاد نحو آفاق أكثر رحابة وشمولا وانسانية . ولكن عامنا الثقافي لم يقتصر على بدايته ومنتهاه وانما امتد بين هذين الطرفين طريق طويل من الاعمال الادبية والفنية والفكرية ، التي وان انبأت عن نشاط واسع لم تكن كلها دفقات من الدم النقي عامل الحياة يجري في شرايين واقعنا ، بل كان بعضها دما مسمما ، وكان بعضها دما ينساب من جراح في جسدنا ويضيع على الرمال .

منابر جديدة :

في هذا العام ظهرت في القاهرة منابر جديدة فنية وفكرية تستخدم كلها الكلمة من أجل الوصول الى الناس . كما اوصدت منابر أخرى كمجلات الرسالة والثقافة والشعر والقصة والفنون الشعبية وكنا نود الا تعالج مشكلتها بهذه الصورة فيضيع الصالح مع الطالح جميعا . ظهرت مجلة « الفكر المعاصر » لكي تنقل وتسجل وتقيم نقاط الانطلاق والوصول وانجاهات النشاط الفكري في عالمنا المعاصر وفي بلادنا . وهذه مهمة جليلة ولا شك ، ولكن المجلة ما تزال مقصرة عن تحقيق الهدف الذي نتصور انها صدرت من أجله . فما زال جيل المثقفين ـ من غير ذوي الاهتمامات السياسية ـ ينظرون الى كلمة « المعاصر » كما لو كانت وقفا على الغرب ، وما زالوا ينظرون الى الفكر السائد في بلدان العالم الاشتراكي والى اعمال هذه البلدان الفنية والادبية والفكرية كأشياء تتسرب الى عصرنا من عالم القرن التاسع عشر غير مدركين او غير واضعين في اعتبارهم تلك الحقيقة « الجغرافية » « السياسية » على الاقل ، القائلة بان هذه البلدان بما تنتجه من أفكار واعمال جزء ، وجزء كبير ، من عالمنا هذا المعاصر ، بغض النظر عن « الدعوى » الفلسفية التاريخية للفكر العلمي القائلة بان الاشتراكية هي المآل الحتمي لتطور كل المجتمعات المعاصرة غير الاشتراكية على اختلاف سبل الوصول اليها . ينعكس هذا الفهم على مجلة « الفكر المعاصر » اذا ما نظرنا الى مجموع ما تقدمه المجلة من كتابات تكشف لنا « الفكر الغربي المعاصر » ، هذه العبارة التي قد تصلح اسما للمجلة اكثر مما يصلح لها اسمها الحالي !

وظهرت كذلك مجلة « الطليعة » ، وهذه مجلة سياسية خالصة ، تهتم في المقام الاول بدراسة مشاكل الواقع المصري من جوانبه السياسية والاقتصادية والتاريخية . والحقيقة ان هذه المجلة تبذل جهدا كبيرا من أجل سد فراغ معين في حياتنا الفكرية ، مجال الفكر السياسي المصري ومشاكل التطبيق السياسي والاقتصادي في مصر . ولعل أبرز ما يميز « الطليعة » حقا هو ذلك الاهتمام بدراسة التاريخ السياسي والاقتصادي لمصر من جوانب لم تكن مثار اهتمام المؤرخين الاكاديميين في الجامعات المصرية ، ظهرت وثائق تسجل تاريخ الحركة العمالية في مصر ، وظهرت وثائق أخرى واقعية تسجل تاريخ حركة الاحزاب السياسية ، وتاريخ ملكية الارض وتطور شكل الاستغلال الزراعي ومضمونه . وربما كانت مجموعة الدراسات القيمة التي ظهرت في المجلة عن سلامة موسى في ذكرى وفاته من أهم وانبل ما قدمته هذه المجلة .

أعمال جديدة :

الظاهرة التي تلفت النظر في مجال الخلق الادبي ان الكتاب

الاكثر نشاطا وانتاجا هم أبناء جيل ما بين الحربين ، وما زال جيل الحرب العالمية الثانية يخب وئيدا في طريقه . ان الظروف الخارجيه التي يعيشها ابناء هذا الجيل لا تمثل كل ما يبغونه من رياح موانية لهم ـ وخاصة في مجال النشر ـ بالاضافة الى وقوفهم دون استعداد في خضم مجال الصراع بين القديم والجديد وهم التجسيد الحقيقي لكل الجديد في المستقبل القريب . فعلى الرغم من نظام التفرغ ـ المقصود به الاهتمام بالامكانيات الشابة أساسا ورعايتها ـ كان هذا النظام لم يثمر ثمراته المرجوة حتى الان في مجال الخلق الادبي والنقدي بالذات وبفروعه المختلفة .

في العام المنصرم صدر للاستاذ نجيب محفوظ روايتان ، كانت « الشحاذ » اولاهما ، وكانت « ثرثرة فوق النيل » هي الثانية . وكانت الروايتان ايفالا جديدا من جانب الكاتب الروائي الكبير في طريق بحثه المتشوق العظيم عن تصور معاصر واصيل لانسان عصرنا المشتت وانسان بلادنا بالذات . ما زالت روح نجيب محفوظ القلقة المنقبة كالمسافر بلا عودة ولكنه المثقل بالامتعة ، تبحث عن المدينة التي يمكن ان تستقر فيها وتطمئن بين حناياها على وجودها . ولكن قلق نجيب محفوظ ذاته انما هو الدليل على احتياج الرواية المصرية المعاصرة الى الكاتب الفنان الشاب الذي قد يستطيع انطلاقا من أرضية يقين شبابه ومعاصرته وأصالته ، الوصول الى ذلك التصور المعاصر والاصيل عن انساننا الجنيني الذي يكمن ـ ما يزال ـ في ضمير المستقبل .

وفي نفس العام صدرت للاستاذ الرائد توفيق الحكيم ثلاث مسرحيات « الورطة » ، « مصير صرصار » ، « الصرصار ملكا » . كانت الاولى بحثا ميتافيزيقيا سطحيا عن العلاقة بين العلم والقانون ، وكانت الاخريان سبابا او قذفا موجها الى البشر !.. فقد كانت كل هذه « الصراصير » رموزا تشير الى الناس وتتحدث عن قصور عقولهم وعدم امكانية فهمهم للعالم الفيزيقي من حولهم ، وتعقيد أفكارهم وغبائها حين يتحدثون عن أي شيء اخر . ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان هذه الرؤية « الكافكاوية ـ الحكيمية » لم تقم على سنة من فلسفة نافذة او اعجاز فني جديد !!

اما نعمان عاشور فقد صدرت له في نهاية العام مسرحية « وابور الطحين » ، وعرضت في بداية الموسم المسرحي الجديد على مسرح الحكيم وأخرجها المخرج الشاب كثير الصياح « نجيب سرور ». لقد قلنا ذات مرة ان كتاب جيل ما بعد توفيق الحكيم المسرحيين يقفون عند حدود المرحلة الابسنية الطامحة الى تشيكوف « مبسط » . ولكن يبدو ان الترجمات المسرحية والنقدية الكثيرة التي صدرت في السنوات الاخيرة في القاهرة ، وكثرة الحديث عن بريخت والمسرح الملحمي مرتبطا بالاشتراكية ، ثم تجربة يوسف ادريس في « الفرافير » قد دفعت بالاستاذ نعمان عاشور ، وهي تدفع الان بالدكتور رشاد رشدي الذي خرج من سلالة « الدراما النفسية » ، الى احضان الملحمية غير المفهومة الممتزجة بالتجريد الذي لا لزوم له ، لتؤكد خصوبة المسرح المصري في بحثه عن شكله الاصيل من ناحية ، ولتؤكد تخبط هذا البحث من ناحية أخرى . لم يحدث قط ان ظهر كاتب مسرحي « بريختي » كامل منذ ان مات بريخت ، وهذا لا يدفعنا الى التشكك من قيمة ما فعله بريخت ، وانما يدفعنا الى اقرار حقائق معينة . أولاها ان المسرح الملحمي ليس هو الشكل المسرحي المعاصر الوحيد ، وانما هناك تجارب بيراندييللو واوركا واونيل وسارتر ووايلدر وطاغور وكامو ودورينمات وفريسن وبيكيت وايونسكو . وثانيها ان شكلا واحدا من أشكال الدراما على مر التاريخ لم يتخذ صفة الثبات والابدية حتى وان ادعى لنفسه ذلك فلا داعي لاضفاء هذه الصفة دون فهمها على المسرح الملحمي ـ ودون فهم كامل للمسرح ـ وثالثها انه من الخطأ الزعم بان شكلا معينا من اشكال التكوين او البناء الدرامي هو الشكل الملائم الوحيد للتعبير عن وجهة نظر معينة في الوجود او التاريخ او الانسان !...

وقبل نهاية العام صدرت لالفريد فرج مسرحيته الثالثة « سليمان الحلبي » بعد مسرحيتيه السابقتين « سقوط فرعون » ، « حلاق بغداد » ، الا ان المسرحية الجديدة تدفع بالفريد الى مستوى جديد من مستويات النضج الفني والفكري معا . استخدم المؤلف هذه الشخصية التاريخية التي ففزت فجأة من طيات الظلام الذي يخيم عادة في « التاريخ الكلاسيكي » على الناس العاديين لكي تقوم بعمل فذ وغير عادي ، اغتيال الجنرال قائد الحملة الفرنسية في مصر بعد نابوليون ، ويسقط عليها النور الغامر كله ثم تموت على الخازوق . وكانت أسئلة الفريد التي بنى عليها مسرحيته : من أين جاء سليمان ؟ من هو ، وكيف كان يفكر وما بواعثه وما هي انفعالاته ؟ لقد وقع سليمان في محنة البحث عن سبب يبرر به اتيان الفعل الذي رأى انه لا بد من القيام به . وكان ان قدم الفريد فرج عملا مسرحيا ناجحا لولا اغراق مناقشاته الذهنية في الجمل المطولة « العميقة » التي قد يصعب على جمهورنا استيعابها منطوقة بسرعة بالقاء الممثل ، ولولا جنوحه ايضا الى استخدام الكورس البريختي حيث لم تكن له ضرورة والموقف واضح ، والحق بين ، والقابل من قبل المسرحية في انظارنا بطل ، الا اذا كان الهدف هو اقناع الفرنسيين انفسهم ببطولة سليمان قاتل جنرالهم ، خاصة وقد بنيت المسرحية على أساس وضع سليمان في موقف المدافع عن الحق ـ ولكن الباحث القلق عن وسيلة الدفاع وعن مبرراتها ـ ولم تقف عند حدود العرض الموضوعي فحسب لكل من موقف الفريقين ـ سليمان وكليبر ـ الشيء الذي تتطلبه « النظرية» الملحمية للمسرح !..

ومما يلفت النظر هنا ان الناس في القاهرة ـ فكل الناس في القاهرة يكتبون الان عن المسرح وليس كلهم يتفرجون عليه منذ زادت الترجمات المسرحية ـ يلفت النظر انهم هاجموا مسرحية الفريد ، دون استثناء تقريبا ، ما عدا الاستاذ محمود أمين العالم والاستاذ رجاء النقاش ، أي الكاتبين الوحيدين « المتخصصين » في النقد الادبي والمسرحي !..

اما فيما يتعلق بالشعر ، ديواننا القديم المتجدد الاثير الى نفوسنا ، فقد بدأ العام بصدور الديوان الثاني للشاعر احمد عبد المعطى حجازي « لم يبق الا الاعتراف » . ان الشيء الباهر في هذا الديوان حقا هو احتفاظ حجازي بروحه الشعرية العاطفية الممتزجة بأجزاء متفرقة من رؤيا عصرية موزعة بين الحزن الخائف والالتزام الذي يصل حد اليقين اللاشعري في بعض الاحيان . لم يفتتن حجازي بالانجاه الحديث السائد القائل بضرورة نزوع الشعر الى العقلانية والى تكثيف ثقافة الشاعر ـ الفلسفية خاصة ـ في « مقولات » شعرية تبدأ باسم الشرط وتلتزم بتقديم جوابه في بناء متكامل يتضح فيه حدا طباق المنطق المرهفان . ورغم هذا فقد نمت عند حجازي نزعته الى التقرير المرتبطة برغبته في صياغة المفهوم السياسي واخضاع التجربة الشعرية ـ او القوالب الشعرية بتعبير ادق ـ لهذا المفهوم.

اما الشاعر صلاح عبد الصبور الذي قرأنا له في العام الماضي « أحلام الفارس القديم » فلم نكد نقرأ له شعرا في هذا العام . حقا لقد قدم مسلسلتين طويلتين من المقالات في جريدة الاهرام القاهرية قام فيهما بعرض وجهة نظر جديدة في الشعر العربي القديم والحديث، وهذه محاولة جادة ومخلصة وضرورية من شاعر معاصر ان يبحث في تراثه وفي منجزات عصره في مجاله الخاص ، الا اننا لم نفهم السر في استهلاكه لنفسه في كتابة النقد الادبي والمسرحي ، اللهم الا اذا كان العمل الصحفي هو ما يجبره على ذلك . ورغم هذا فقد كتب صلاح مسرحية شعرية عن « الحلاج » لم تتح لنا قراءتها بعد ، والمنتظر ان تقدمها احدى فرق القاهرة المسرحية في الموسم القادم .

وفي القاهرة صاحبنا هذا العام الشاعر العراقي الكبير عبد الوهاب البياتي ، وفي القاهرة اصدر ديوانين « قصائد » وهو

مختارات من دواوين سابقة ، ثم « سفر الفقر والثورة » وهو ديوان جديد صدر عن دار الاداب . ان البياتي اذ يعبر في ديوانه الجديد منطقة التعبير الخارجي عن آلام الناس ومعاناته هو لآلامهم ، واذ يلج مرحلة جديدة بالنسبة له من التعبير الداخلي عن معاناته الخاصة الذاتية التي تعكس توحد مأساة الشاعر مع مأساة الناس عبر تجربة الخلق الشعرية ، ان البياتي اذ يعبر من تلك المرحلة الى هذه فانما ينمو وينشب جذوره في ارض صخرية يرويها برحيق تجربته ودمائها وعرقها لتخضوض وتزدهر . والظاهرة التي قد نحب التوقف عندها للاحظ المشاركة فيها بين صلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي لهي ظاهرة الاتجاه الى البحث عن افاق جديدة في التراث الصوفي الاسلامي ولكن من وجهتي نظر متقابلتين . صلاح يتجه في ارتياده وجهة البحث عن ميتافيزيقيا جديدة وانسانية وشاملة ، ميتافيزيقيا تكمن في المستقبل تذكر بفكرة نمو الروح عند هيجل وابن تيمية . اما البياتي فتتجه رحلته صوب البحث عن قيمة التمرد والثورة التي احتوتها تجربة التصوف الاسلامي من حيث كان التصوف نوعا من الرفض ـ الروحي على الاقل ـ للواقع وما استتبع هذا الرفض من ضرورة دفع ثمنه عينا ، من الحرية احيانا ومن الدم في احيان اخرى . صلاح يبحث عن التسامي الروحي في تجربة التصوف ، ويبحث البياتي عن الانعكاس الحسي لنفس التجربة .

وفي القصة القصيرة صدرت بعض المجموعات لكتاب متوسطي الموهبة ، حاولوا سد النقص بتركيز معظم تجاربهم حول بناء المصانع او اكتشاف الجانب المتفائل من الحياة في سذاجة غير مجدية حتى لم تكن لمجموعاتهم اصداء مسموعة بعد صدورها . اما يوسف ادريس فكان صاحب المجموعة الوحيدة « لغة الآي آي » التي اثارت نوعا من النقاش ـ ربما بحكم العادة وربما لان يوسف ادريس يحاول جاهدا العثور على اسلوب جديد للتعبير يحمله رؤيته المتجددة للانسان وللواقع . وعلى الرغم مما تلقاه القصة القصيرة من تجاهل اجهزة النشر ومؤسساته ، الا ان الندوات الادبية في القاهرة ما تزال تزخر بكتاب القصة القصيرة الشبان ، حتى لا تخلو ندوة من قصاص شاب مجيد او موهوب يجهد في الوصول بانتاجه الى الناس عن طريق القراءة المباشرة او توزيع قصصه على الاصدقاء القراء .

اما السينما المصرية فعلى الرغم من الاتجاه الغالب فيها نحو تقديم اعمال لكتاب كبار ، ونحو اشراف عدد اخر من الادباء على اجهزتها بصورة مباشرة ، وربما بسبب من هذا الاتجاه الى جانب اسباب اخرى من مثل الابقاء على نفس الوجوه القديمة مالكة اقطاعيات السينما المؤممة القديمة في مراكز حساسة واساسية بالنسبة للانتاج السينمائي يديرونه ويوجهونه بنفس عقليتهم القديمة ، اقول انه بالرغم من ذلك ، ولهذه الاسباب ، فقد انعكست كل المقدمات لتأتينا النتائج المتوقعة . فاذا كانت البداية في هذا العام قد جاءت بفيلم « هي والرجال » عن قصة للاستاذ احسان عبد القدوس ، لم يكن من المستغرب ان تأتي النهاية بفيلم « هارب من الايام » الذي كان مسلسلة تليفزيونية اذيعت مرتين متلاحقتين ـ عن قصة لثروت اباظة ! . واذا طرحت المناقشة حول السينما المصرية بدءا من البحث عن « كيفية تجديدها » وليس من التساؤل عما ينقص هذه السينما المصرية لكي تكون سينما مصرية حقا، فلن يكون من المستبعد ان يتركز الاهتمام حول زوايا التصوير والانتاج المشترك والتسويق العالمي ... الخ ، دون التفكير في « ما هي السينما ؟ » ، وهو السؤال الاول الذي قد يصعب العثور على اجابة له في القاهرة على الا تكون اجابة مترجمة من مجلة «الصوت والضوء» الانجليزية ! .

وقد يكون من الطبيعي ان نتحدث بعد هذا عن النقد رغم تجاوزنا عن رصد مجال الدراسات التاريخية او التسجيلية او التقييمية . فما زال هذا المجال محصوراً بين هيئات التدريس الجامعية بهدف القيام بتدريسها او ادماجها في مقررات الجامعة ، فتفقد الدراسة روح العمل النقدي المباشر والمعاصر والمواكب لحركة الخلق نفسها ، وتفقد في نفس الوقت روح العمل الاكاديمي الذي يتفرغ له كاتبه فيوفيه حقه من العمل المجهد المثمر ايضا .

اما النقد فقد خسر في بداية هذا العام رائده وشيخه الكبير الدكتور محمد مندور ، وخسر في منتهاه واحدا من رواده وابطاله الاستاذ انور المعداوي . خسرناهما وخسرهما الفنان الخالق والناقد جميعا . وقد تعزينا عنهما اعمال لهما باقية ، نشرت او تنتظر النشر .

لقد صدرت في هذا العام مجموعات من الاعمال النقدية، التطبيقية المباشرة او المنهجية ، في شكل مقالات متفرقة او تلك التي نحو نحو التكامل لكي تصبح دراسة حول موضوع معين . ولقد يخيل للقارىء المتابع احيانا ان النقاد يزيدون عددا عن الكتاب الخالقين ، ولكنهم ـ النقاد ـ لامر ما لا يقومون بتوزيع انفسهم على هؤلاء الكتاب او طبقا لفروع تخصص ـ عامة على الاقل ـ ان لم تكن محددة . قد فرض العمل الصحفي هذا التشتت احيانا بين القصة والرواية والمسرحية والشعر والدراسة والترجمة ، ولكن ان يخضع الناقد حياته المنتجة كلها لما يفرضه العمل الصحفي او لما يفرضه « سوق » انتاج الاعمال الفنية ، دون محاولة لاكتشاف او تبني منهج نقدي نوعي خاص ، وفي بعية كاملة للعمل الفني من خلال عملية رصد لسلبياته ودون محاولة لتخطيه او دفع خالفه الى الامام ، اقول ان هذا الخضوع لا يمكن ان تقتصر نتائجه السيئة على نوعية العمل النقدي ومستواه وقدرة الناقد على متابعة انتاج عصره ولغته ومجال تخصصه فحسب ، وانما تمتد هذه النتائج الى العمل موضع النقد والى الكاتب الخالق نفسه ، حين يقف النقد عند حدود العادية والتناول الخارجي والمجزء للعمل الفني .

...

لم يكن الهدف من هذا العرض تقديم رصد كامل او شامل لكل

صدر حديثا :

الرسالة الموضحة

في ذكر

سرقات ابي الطيب المتنبي وساقط شعره

من كلام

ابي علي محمد بن الحسن الحاتمي الكاتب

تحقيق

الدكتور محمد يوسف نجم

الناشر : دار صادر ـ دار بيروت

ما انتجه النشاط الفني والادبي في بلادنا في غضون عام كامل هو من الاعوام الحاسمة في تاريخنا ، ولكنها كانت محاولة لتقديم صورة ـ او تصور ـ عام يمكن ان نتلمس من خلاله نمونا او قصورنا ، اقترابنا او ابتعادنا عما ينبغي للادب او الفن ان يقدماه لحياتنا من مؤونة . ان يصبح العالم مكانا اكثر صلاحية لاستمرار الحياة ونموها ، وان نكتسب الحياة نفسها معنى اصيلا بالجمال والفكر الانساني الخلاق !

القاهرة — سامي خشبة

العراق

القصة ... عندنا

***

كتب الاستاذ سامي خشبة في « آداب » تشرين الاول (اكتوبر) مقالا عن أزمة القصة القصيرة في ج.ع.م. ، وقد دهشت حقيقة لهذا العنوان وانا أقلب « دستة » من المجلات القاهرية التي أمامي وانا واقف قرب مكتبة في مدينة الديوانية بالعراق وقد زينت واجهاتها الزجاجية بعشرات من كتب القصة القاهرية .

وعندما قرأت الموضوع وجدته استعراضا نقديا لتقييم ما ينبغي ان تكون عليه القصة القصيرة موضوعا وكان ذلك مجالا لابتسامة عريضة افتنصتها وانا أفكر في « أزمة » القصة ـ عموما ـ عندنا في العراق.

نحن بلا قصة تماما وما يصدر احيانا وفي كل شهرين ـ على وجه التقريب ـ انما هي محاولات فردية بطولية يقوم بها بعض الكتاب ممن استدانوا او باعوا شيئا من أثاثهم ليقدموا جزءا من حشرجات صدورهم هدية للقارىء العراقي النقاد الذي يتطلع الى الاحسن ولا يجد شيئا .. لا الاحسن ولا الاردأ .

فاينما قلبت في الصحف والمجلات العراقية ـ على قلتها ـ لاتجد قلما قصصيا جديدا او قديما الا ما ينشره الصف « المستجد » احيانا وفي صفحات القراء من الجرائد البغدادية

والواقع ان هذه الازمة ليست عفوية وليست جديدة ، فنحن نعيشها منذ عقد من الزمن تقريبا .

ذلك ان الانصراف التام من جانب ادبائنا الى السياسة ـ وهذا ليس عيبا طبعا ـ قد جعلهم يبتعدون عن الادب بوجه عام ، وهذه هي النتيجة المؤسفة التي حصل عليها القطاع الادبي عموما والقصصي خصوصا عندنا .

هذه واحدة ـ كما يقولون ـ ، أما الاخرى فهي اننا بلا جذور قديمة في مجال القصة اذا فسنا ذلك بحيوية توفيق الحكيم منذ الثلاثينات الى اليوم وما خطه طه حسين وعادل كامل ومن ثم جيل نجيب محفوظ ويوسف ادريس في ج.ع.م. فبعد بدايات محمود واحمد السيد في بغداد منذ ثلاثين عاما تقريبا ومونه السريع ، استلم الراية الخليلي ولطفي واخذا منهما وبقوا على الدرب ثم ابتعدا وابتعد من تبعهم .

والحق ان هذه النقطة تحتاج الى توسيع ولكني احاول ان اقصرها على المقارنة بين ما كنا عليه عام ١٩٥٥ مثلا واليوم .

كانت الجرائد المحلية تخصص صفحات كاملة للادب اسبوعيا ـ لا ركنا اخباريا ـ بالاضافة الى قصتين محليتين تنشران كل أسبوع في كل صحيفة .

وكان شباب القصة يجد في الاداب والاديب البيروتيتين مجالا صادقا ومفسوحا للنقد والتقييم ونشر النتاج الجديد .

وكانت الاقصوصة الجديدة تناقش في المقاهي والندوات الخاصة ثم يتطور النقاش اللساني الى نقاش على صفحات الصحف والمجلات.

وكان بعض الكتاب قد طبعوا مجاميعهم ـ وهو أمر نادر عندنا ـ طبعة ثانية دون ان يخسروا الكثير .

اما اليوم او بالاحرى منذ سبع سنوات فقد تلاشى الكثير من هذا ولم يبق للقصة العراقية الا الذكريات القليلة وقد قالوا « من بدأ يتحدث عن ذكرياته فقد انتهى » .

ولسنا على هذه الدرجة من التشاؤم ولكن يجب القول ان القصة العراقية تعاني اليوم أزمة نشر وازمة تشجيع ولا تعاني ازمة اقلام فانا اعرف الكثيرين ممن كتبوا لا مجاميع ، وانما روايات بكاملها ولكنهم لا يجرؤون على النشر لافلاس اليد اولا وخوف الفشل ثانيا .

واستطيع القول ان الدولة او السلطة في الجمهورية العربية المتحدة لا تجزل للكاتب العطاء فقط ، وانما هي تدلله ايضا .. فمن بدل التفرغ الى تحوير القصة مسرحيا وتلفزيونيا وسينمائيا الى التحدث الدائم عنها في مجالات الصحافة .

ولست أدري من ألوم حقا في النهاية .. ألوم كسل القصاصين أم الوم اصحاب الصحف والمجلات ؟..

الحقيقة ان البيضة والدجاجة عندنا يشتركان في المسؤولية ويشترك معهما القارىء الذي لا أدري كيف احدد مسؤوليته ؟ الانه ذكي جدا بحيث لا يقتني الا ما يعتقده جيدا ؟ أم انه يتمثل القول المأثور (لا كرامة لنبي في وطنه) وانا أعرف ان قصاصينا ليسوا انبياء؟

المشكلة اذن تحتاج الى المزيد من المناقشة ويا حبذا لو تحرك الادباء فقالوا شيئا ولا أظن « الاداب » الغراء بخيلة عليهم .

الدغارة ـ العراق — باسم عبد الحميد حمودي

صدر حديثا :

الحياة الحب

للشاعر ابراهيم محمد نجا

مجموعة من قصائد الغزل الرفيع

منشورات دار الاداب